

دور مصر في غزة

خير الله خير الله
إعلامي لبناني

كما كان متوقعا، بعد التوصل إلى اتفاق لوقف إطلاق النار برعاية مصرية، أعلنت حركة "حماس" النصر ليس معروفا بعد على من انتصرت "حماس" التي استطاعت الاستفادة إلى أبعد حد من ثورة أهل القدس في وجه الاحتلال بعدما حاول الإسرائيليون في أواخر شهر رمضان مصادرة منازل وممتلكات في حي الشيخ جراح. الأمر الوحيد الثابت أن "حماس" انتصرت على أهل غزة وعلى السلطة الوطنية برئاسة محمود عباس (ابومازن). أصبحت "حماس" في الواجهة الفلسطينية. صحيح أنها عومت رئيس الوزراء الإسرائيلي بنيامين نتانياهو الذي قد يكون قادرا على تشكيل حكومة جديدة في ظل التفاف اليمين الإسرائيلي حوله مجددا وفي ظل الدور المرشح لأن يلعبه النواب الفلسطينيون الأربعة الذين ينتمون إلى حركة الإخوان المسلمين في الكنيست الإسرائيلي... لكن الصحيح أيضا أن لا بد من التساؤل هل لدى "حماس" مشروعها السياسي الوطني المستقل الذي يأخذ في الاعتبار الواقع على الأرض، أي الواقع بعيدا عن الشعارات الطائفة الفارغة من أي مضمون؟

لا شك أن مصر ستكون صاحبة دور كبير في القطاع وفي جعل «حماس» تعود إلى رشدها، هذا إذا كان لديها رشدها في يوم من الأيام، بصفة كونها طرفا فلسطينيا مهما ولكن ليس الممثل الوحيد للشعب الفلسطيني

بكل ما أضح، ليس معروفا بعد هل لدى "حماس" الرغبة في أن تكون جزءا من حكومة وحدة وطنية فلسطينية تستطيع الدخول في مفاوضات جدية مع إسرائيل بإشراف دولي استنادا إلى البرنامج الوطني الفلسطيني الذي يعتمد خيار الدولتين؛ هناك أيضا مبادرة السلام السعودية التي أقرتها قمة بيروت في العام 2002 وأصبحت مبادرة سلام عربية. لا تزال مبادرة السلام العربية التي تجاهاها إسرائيل تصلح أساسا لتسوية معقولة، هذا إذا كان في إسرائيل من يريد التوصل إلى تسوية. كان واضحا من كلام بيني غانتس وزير الدفاع الإسرائيلي تركيزه على العملية السلمية في المرحلة المقبلة، في حين تجاهل "بيبي" نتانياهو أي كلام عن مثل هذه العملية في ضوء حرب غزة. توقف القصف الإسرائيلي لغزة وتوقفت "حماس" عن إطلاق

صواريخها. لم يعد ممكنا تجاهل أن "حماس"، وهي جزء لا يتجزأ من حركة الإخوان المسلمين، استطاعت تسجيل نقاط. كيف تبني عليها بصفة كونها الممثل الجديد للشعب الفلسطيني، أقله ظاهرا؛ ليس معروفا هل "حماس" مستعدة لدور وطني وليس مجرد أداة لإيران أو لتركي... أو في انتظار وصول حقيقة الدورات من قطر في نهاية كل شهر، وهي حقيقة تمر عبر إسرائيل وليس عبر أي طرف آخر!

ما لا بد من ملاحظته أيضا أن الإدارة الأميركية باتت تؤمن بأن لا مجال لتأخير اهتمامها بالشرق الأوسط والتركيز عليه. سترسل قريبا وزير الخارجية أنطوني بلينكن إلى المنطقة التي قفزت فجأة إلى أولوية أولوياتها. تحدث الرئيس جو بايدن ست مرات إلى رئيس الوزراء الإسرائيلي. أجبره في النهاية على وقف القصف الوحشي على غزة. لكن اللافت أيضا الدور الذي لعبته مصر واتصال بايدن بالرئيس عبدالفتاح السيسي.

صارت مصر في قلب الحدث. هناك دعم عربي لمصر التي لم يعد في استطاعة الرئيس الأميركي تجاهل رئيسها. باتت الإدارة الأميركية تفهم معنى أن يكون هناك استقرار في مصر. أكثر من ذلك، أكدت مصر التي أرسلت وفدين أمنيين إلى غزة وإسرائيل للإشراف على وقف إطلاق النار استعدادها لتقديم نصف مليار دولار من أجل إعادة إعمار غزة. الأكد أن معنى ذلك وجود دعم عربي لمصر ورمضان

على دور مصري في غزة التي كانت سابقا تحت الإدارة المصرية. هذا رهان على إعادة الحياة إلى غزة بدل بقائها إمارة إسلامية على الطريقة الطالبانية تحكمها "حماس" التي لا يهتمها سوى تغيير طبيعة المجتمع الفلسطيني نحو الأسوأ، فضلا عن إغراقه في اليأس والجهل. ستكون الأيام المقبلة حبلت بالأحداث في ضوء الاهتمام العربي والأوروبي والأميركي، خصوصا بإيجاد تسوية سياسية بما يتجاوز غزة. لا شك أن مصر ستكون صاحبة دور كبير في القطاع وفي جعل "حماس" تعود إلى رشدها، هذا إذا كان لديها رشدها في يوم من الأيام، بصفة كونها طرفا فلسطينيا مهما ولكن ليس الممثل الوحيد للشعب الفلسطيني.

من هنا، يبدو دعم الدور المصري الذي اعترفت به أميركا وإسرائيل مهما إلى حد كبير، خصوصا في حال كان مطلوباً أن تحل لغة المفاوضات مكان لغة السلاح والتدمير ونشر الفقر والبؤس. نعم، دور مصر مهم. هذا لا يعود إلى قربها الجغرافي من غزة فحسب، بل يعود أيضا إلى أنها تمتلك القدرة على زرع بعض العقلائية في رؤوس حامية تختفي إلى جماعة الإخوان المسلمين وتعتقد أن في استطاعتها العيش إلى ما لا نهاية في ظل الشعارات ما دامت الأموال تتدفق على غزة وما دامت الصواريخ تأتي بطريقه أو بأخرى من إيران.

وأوضح مخيمر أبو سعده وهو أستاذ مشارك ورئيس قسم العلوم السياسية في جامعة الأزهر في غزة في حديثه لوكالة أسوشيتد برس، أن "حجم قصف حماس كان أكبر وأدق في هذا الصراع"، مشيرا إلى أن "تعزيز القوى تحت الحصار كان مفاجئا". ويتساءل الخبراء والمتابعون عن كيفية نجاح حماس في تكدس أسلحتها على الرغم من المراقبة الشديدة والقبود المشددة والحصار الإسرائيلي الذي تسبب في معاناة شديدة لأكثر من مليوني فلسطيني في غزة، فيما رأت تل أبيب أنه كان ضروريا لمنع تكدس أسلحة حماس ولا يمكن رفعه.

وقدم رئيس المكتب السياسي لحركة حماس إسماعيل هنية الجمعة، إجابة عن هذه التساؤلات حين شكر إيران على دعمها "المقاومة" الفلسطينية بالمال والسلاح، مؤكدا الاستعداد لما بعد المواجهة العسكرية الأخيرة مع إسرائيل.

ويؤكد متابعون أن الدعم الإيراني للحركة والفضائل المسلحة وراء تحقيقها مكاسب على الأرض، حيث دعمت إيران

Rockets fired from a civilian area



حجم قصف حماس كان أكبر وأدق في هذا الصراع

كيف تمكنت حماس من بناء ترسانتها من الصواريخ رغم الحصار

الدعم الإيراني يعزز ترسانة الحركة بصواريخ طويلة المدى تعيد كتابة قواعد اللعبة

الهندسية، واختبارات المحركات وغيرها من الخبرات الفنية، وأفادت وزارة الخارجية بأن إيران تقدم 100 مليون دولار سنويا للجماعات الفلسطينية المسلحة.

الترسانة تحت الأضواء

يقدر الجيش الإسرائيلي أنه قبل جولة القتال الحالية، كان لدى حماس ترسانة من 7 آلاف صاروخ من نطاقات مختلفة يمكن أن تغطي جميع أنحاء إسرائيل تقريبا، بالإضافة إلى 300 صاروخ مضاد للدبابات و100 صاروخ معزز، مثل كاتوشا وصواريخ فجر 5 الإيرانية، والتي اعتمدت خلال حربي 2008 و2012 مع إسرائيل. وبعد الإطاحة برمسي، اتخذت مصر إجراءات صارمة وأغلقت المئات من أنفاق التهريب، لكن صناعة الأسلحة المحلية انتعشت في غزة.

وقال المحلل الأمني بشؤون الصواريخ في الشرق الأوسط فايبان هينز "ترزعت الرواية الإيرانية أنهم بدأوا كل إنتاج الصواريخ في غزة وأعطتهم القاعدة التقنية والمعرفية، إلا أن الفلسطينيين مكتفون ذاتيا الآن. اليوم، أصبحت معظم الصواريخ التي تراها مبنية محليا، بتقنيات إبداعية غالبا".

وفي فيلم وثائقي بثته قناة الجزيرة الإخبارية في سبتمبر، أظهرت لقطات نادرة مقاتلي حماس يعيدون تجميع الصواريخ الإيرانية بمدى يصل إلى 80 كيلومترا وبرؤوس حربية محملة بـ175 كيلوغراما من المتفجرات.

وأطلقت عناصر حماس صواريخ إسرائيلية غير منفجرة من الضربات السابقة لاستخراج مواد متفجرة. حتى أنهم استغلوا أنابيب المياه القديمة بإعادة استخدامها كأجسام صاروخية. وإنتاج الصواريخ، خلط كيميائيو حماس ومهندسوها الوقود من الأسمدة والمواد المؤكسدة والمكونات الأخرى في مصانع مؤقتة. ولا يزال يُعتقد أن السلع المهربة الرئيسية تمر إلى غزة عبر عدد من الأنفاق التي لا تزال تعمل.

وقد أشادت حماس علنا بإيران لمساعداتها، والتي يقول الخبراء إنها أنتجت المخططات والمعرفة

تهريبها عبر مجموعة من الأنفاق الضيقة تحت شبه جزيرة سيناء. وعندما طرد مقاتلو حماس السلطة الفلسطينية من غزة في عام 2007 وسيطروا على القطاع الساحلي، فرضت إسرائيل ومصر حصارا مشددا.

وحسب الجيش الإسرائيلي، فقد استمر التهريب واكتسب قوة بعد انتخاب الراحل محمد مرسي، القيادي الإسلامي وحليف حماس، رئيسا لمصر في 2012 قبل أن يطيح به الجيش المصري.

ونجح مسلحو غزة في تخزين صواريخ أجنبية الصنع ذات نطاقات معززة، مثل كاتوشا وصواريخ فجر 5 الإيرانية، والتي اعتمدت خلال حربي 2008 و2012 مع إسرائيل.

وبعد الإطاحة برمسي، اتخذت مصر إجراءات صارمة وأغلقت المئات من أنفاق التهريب، لكن صناعة الأسلحة المحلية انتعشت في غزة.

وقال المحلل الأمني بشؤون الصواريخ في الشرق الأوسط فايبان هينز "ترزعت الرواية الإيرانية أنهم بدأوا كل إنتاج الصواريخ في غزة وأعطتهم القاعدة التقنية والمعرفية، إلا أن الفلسطينيين مكتفون ذاتيا الآن. اليوم، أصبحت معظم الصواريخ التي تراها مبنية محليا، بتقنيات إبداعية غالبا".

وفي فيلم وثائقي بثته قناة الجزيرة الإخبارية في سبتمبر، أظهرت لقطات نادرة مقاتلي حماس يعيدون تجميع الصواريخ الإيرانية بمدى يصل إلى 80 كيلومترا وبرؤوس حربية محملة بـ175 كيلوغراما من المتفجرات.

وأطلقت عناصر حماس صواريخ إسرائيلية غير منفجرة من الضربات السابقة لاستخراج مواد متفجرة. حتى أنهم استغلوا أنابيب المياه القديمة بإعادة استخدامها كأجسام صاروخية. وإنتاج الصواريخ، خلط كيميائيو حماس ومهندسوها الوقود من الأسمدة والمواد المؤكسدة والمكونات الأخرى في مصانع مؤقتة. ولا يزال يُعتقد أن السلع المهربة الرئيسية تمر إلى غزة عبر عدد من الأنفاق التي لا تزال تعمل.

وقد أشادت حماس علنا بإيران لمساعداتها، والتي يقول الخبراء إنها أنتجت المخططات والمعرفة

سكتت أصوات القنابل والمدافع والصواريخ في قطاع غزة وإسرائيل الجمعة مع بدء سريان وقف لإطلاق النار بعد تصعيد دام. وفيما أسدل الستار بشكل مؤقت عن نزاع طويل وتاريخي بين الجانبين، يطرح المتابعون تساؤلات عن السر وراء تطور الترسانة العسكرية لحركة حماس والتي باعنت خصمها بإصابتها أهدافا دقيقة، وهو ما رد عليه رئيس الحركة إسماعيل هنية الذي شكر إيران علنا لدعمها حماس بالمال والسلاح على مدى سنوات في مواجهة خصم مشترك.

حركة حماس والجهاد الإسلامي وقدمت لها التمويل لبناء القدرات العسكرية في غزة الخاضعة لسيطرة حماس.

الجناح العسكري السري

منذ تأسيس حماس في 1987، تطور جناح الحركة العسكري السري، وتحول من ميليشيا صغيرة إلى ما تصفه إسرائيل بأنه "جيش شبه منظم"، فيما نجحت الحركة في استقطاب المؤيدين لمحور "الممانعة"، في الوقت الذي لم تشف فيه المفاوضات السياسية التي تروج لها السلطة الفلسطينية غليل الشوارع المنهك من نزاع طويل.

وقد نفذت الجماعة في أيامها الأولى عمليات إطلاق نار وخطف طالت إسرائيليين. وقتلت المئات من الإسرائيليين في تفجيرات انتحارية خلال الانتفاضة الفلسطينية الثانية، التي اندلعت في أواخر سنة 2000.

ومع انتشار العنف، بدأ التنظيم بإنتاج صواريخ "القسام" بدائية تعمل بشكل جزئي على السكر المصهور. إلا أنها لم تتمكن من الوصول سوى إلى بضعة كيلومترات، وتسببت بأضرار طفيفة. وغالبا ما كانت تسقط داخل القطاع.

وفي أعقاب انسحاب إسرائيل من غزة في 2005، شيدت حماس خط إمداد سريا من إيران وسوريا، وفقا للجيش الإسرائيلي.

وغمرت صواريخ بعيدة المدى ومتفجرات قوية ومعادن وآليات حدود غزة الجنوبية مع مصر. ويقول الخبراء إن الصواريخ شحنت إلى السودان ثم عبر صحراء مصر الشاسعة، قبل

انتجت المخططات والمعرفة



فايبان هينز

الصواريخ تهدف إلى إعادة كتابة قواعد اللعبة، إنها حرب نفسية

وفي الحرب الأخيرة، كشفت حماس النقاب عن أسلحة جديدة كالمفاتيح المسيرة الهجومية، والغواصات المسيرة، وصاروخ "عياش" غير الموجه والذي يبلغ مداه 250 كيلومترا. وفيما يقول الجيش الإسرائيلي إن عملياته الحالية وجهت ضربة قاسية لمنشآت أبحاث الأسلحة والتخزين والإنتاج التابعة لحماس. لكن المسؤولين الإسرائيليين يعترفون بأنهم لم يتمكنوا من وقف وإبلاق الصواريخ المستمر. وعلى عكس الصواريخ الموجهة، فإن الصواريخ غير دقيقة وقد نجح نظام القبة الحديدية الإسرائيلي الدفاعي في اعتراض الغالبية العظمى منها. لكن ومن خلال الاستمرار في إحباط قوة إسرائيل المتفوقة، ربما أوضحت حماس إرباكها بشكل جلي. وختم هينز قائلا "حماس لا تهدف إلى تدمير إسرائيل عسكريا. في نهاية المطاف، تهدف الصواريخ إلى بناء نفوذ وإعادة كتابة قواعد اللعبة. إنها حرب نفسية".

